ولكن التحقيق يظهر أن شعراء البديع في العصر العباسي الأول والثاني من أمثال أبي نواس ومسلم بن الوليد وأبي تمام والبحتري قد سبقوه إليها.

ثم أخذ الاهتمام بها ابتداء من عصر المتنبي يزداد شيئًا فشيئًا؛ حتى وصلت إلى عصر القاضي الفاضل فتلقفها وتوسع في استعمالها في شعره ونثره؛ إلى الحد الذي لفت الأنظار إليها؛ ومن ثم جاراه فيها شعراء مصر والشام خاصةً في عصره وبعد عصره، وقد أدى الإعجاب بها والمبالغة في استعمالها والإكثار منها والتكلف فيها إلى إفساد الكثير من شعر المتأخرين وإحالته إلى رياضة ذهنية وحيل لفظية ينطبق عليها قول القائل:

وما مثله إلا كفارغ بندق خلى من المعنى ولكن يفرقع!

التقسيم

التقسيم فن من فنون البديع المعنوي، وهو في اللغة مصدر قسمت الشيء إذا جزّأته. أما في الاصطلاح فاختلفت فيه العبارات، والكل راجع إلى مقصود واحد.

ومن أوائل من عرض له أبو هلال العسكري، وفسره بقوله: «**التقسيم الصحيح: أن يُقسم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه، ولا يخرج منها جنس من أجناسه، فمن ذلك قوله تعالى**: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الرعد:١٢]، وهذا أحسن تقسيم لأن الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع، وليس فيهم ثالث»[(١)] وقد قدم الخوف على الطمع لأن الأمر المخوف من البرق في أول برقه، والأمر المطمع إنما يقع من البرق بعد الأمر المخوف؛ وذلك ليكون الطمع ناسخًا للخوف لمجيء الفرج بعد الشدة.

وذكر ابن رشيق القيرواني أن الناس مختلفون فيه: «**فبعضهم يرى أنه استقصاء الشاعر جميع أقسام ما ابتدأ به، كقول بشار يصف هزيمة**:

بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه وتدرك من نجى الفرار مثالبه
فراحوا: فريق في الأسار، ومثله قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربه

فالبيت الأول قسمان: إما موت وإما حياة تورث عارًا ومثلبة، والبيت الثاني ثلاثة أقسام: أسير، وقتيل، وهارب، فاستقصى جميع الأقسام، ولا يوجد في ذكرها إضافة لما الكل إليه على التعيين، كقول المتلمس:

---

(١) كتاب الصناعتين ص ٣٤١.

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الأذلان عَير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمَّته وذا يُشَجّ فلا يرثي له أحد [١]

فقد ذكر الشاعر العير والوتد، ثم أضاف إلى الأول الربط مع الخسف، وإلى الثاني الشج على التعيين.

وقبله عرفه السكاكي بقوله: «هو أن تذكر شيئًا ذا جزأين أو أكثر، ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك، كقوله:

أديبان في بَلْخَ لا يلأكلان إذا صبحا المرء غير الكبد
فهذا طويل كظل القناة وهذا قصير كظل الوتد [٢]

كذلك عرفه زكي الدين بن أبي الأصبع بقوله: **«التقسيم عبارة عن استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه»** [٣] وقد مثل لتعريفه بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران :١٩١]، فاستوفت الآية الكريمة جميع الهيئات الممكنة.

وكذلك بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر :٣٢] فاستوفت الآية الكريمة جميع الأقسام التي يمكن وجودها، فإن العالم جميعه لا يخلو من هذه الأقسام الثلاثة.

وبقوله تعالى ايضا: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [مريم :٦٤]، فالآية الشريفة جامعة لأقسام الزمان الثلاثة ولا رابع لها، والمراد الحال والماضي والمستقبل، ف**«له ما بين أيدينا»** المراد به المستقبل، **«وما خلفنا»** المراد به الماضي، **«وما بين ذلك»** الحال.

ومما ينطبق على تعريف ابن أبي الأصبع وهو من أشرف المنثور قوله ﷺ: **«وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت؟»**، فلم يبق الرسول قسمًا رابعًا لو طلب لوجد.

وقول على بن أبي طالب كرم الله وجهه: **«أنعم على من شئت تكن أميره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره»** فالإمام على قد استوعب هنا أقسام

---

(١) كتاب التلخيص للقزويني ص ٣٦٤؛ والضيم: الظلم؛ والعير: الحمار غلب على الوحش؛ والمناسب هنا الحمار الأهلي؛ والخسف: الذل؛ الرمة: القطعة من الحبل؛ والشج: الدق والكسر.
(٢) (٣) خزانة الأدب ص ٣٦٢.

الدرجات وأقسام أحوال الإنسان بين الفضل والكفاف والنقص.

ومنه أن شابًّا قدم مع بعض وفود العرب على عمر بن عبد العزيز، ثم قام وتقدم المجلس قائلا: «**يا أمير أصابتنا سنون: سنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة أنقت العظم**[1]، وفي أيديكم فضول أموال، فإن كانت لنا فلا تمنعونا، وإن كانت لله ففرقوها على عباده، وإن كانت لكم فتصدقوا؛ إن الله يجزى المتصدقين». فقال عمر بن عبد العزيز: «**ما ترك لنا الأعرابي في واحدة عذرًا**».

ومن التعريفات والأمثلة السابقة يمكن القول بأن التقسيم يطلق على أمور:

احدها: استيفاء جميع أقسام المعنى، وقد ينقسم المعنى إلى اثنين لا ثالث لهما، أو ثلاثة لا رابع لها، أو أربعة لا خامس لها، وهكذا....

ومن تقسيم المعنى إلى اثنين لا ثالث لهما - بالإضافة إلى بعض الأمثلة السابقة - قول ثابت البناني: «**الحمد لله وأستغفر الله**»، ولما سئل: لم خصهما؟: قال لأني بين نعمة وذنب، فأحمد الله على النعمة، وأستغفره من الذنوب.

ومنه قول الشماخ يصف صلابة سنابك الحمار:

متى ما تقع أرساغه مطمئنة على حجر يَرفَضّ أو يتدحرج[2]

فالوطء الشديد إذا صادف الموطوء رخوًا ارفض وتفرق منه، أو صلبًا تدحرج عنه، ولهذا لم يبق الشماخ قسمًا ثالثًا.

ومن تقسيم المعنى إلى ثلاثة لا رابع لها قول زهير:

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء[3]
فذلكم مقاطع كل حق ثلاث كلهن لكم شفاء

وكان عمر رضي الله عنه يتعجب من صحة هذا التقسيم ويقول: «**لو أدركت زهيرًا لوليته القضاء لمعرفته**».

* * *

(١) **أنقت العظم**: استخرجت نقوه بكسر النون، أي مخه.

(٢) **مطمئنة**: ساكنة، ويرفض: يتفرق، والأرساغ: جمع رسغ وهو من الدواب الموضع المستدق بين الحافر.

(٣) **النفار**: المنافرة والتحاكم، والجلاء: البيّنة التي تجلو وتكشف حقيقة الأمر.

ومنه قول نُصَيب:

فقال فريق القوم: لا، وفريقهم: نعم، وفريق قال: ويحك ما ندري

فليس في أقسام الإجابة عن المطلوب إذا سئل عنه غير هذه الأقسام الثلاثة. وقول عمر بن أبي ربيعة:

وهبها كشيء لم يكن أو كنازح به الدار أو من غيبته المقابر

فلم يُبق ابن أبى ربيعة مما يعبر به عن إنسان مفقود قسمًا إلا أتى به في هذا البيت.

وقول زهير:

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غدٍ عم

فالبيت جامع لأقسام الزمان الثلاثة ولا رابع لها.

والأمر الثاني الذي قد يطلق التقسيم عليه يتمثل في ذكر أحوال الشيء مضافًا إلى كل حالة ما يلائمها ويليق بها. ومن أمثلة ذلك قول أبي الطيب المتنبي:

سأطلب حقي بالقنا ومشايخ كأنهم من طول ما التثموا مرد
ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا كثير إذا شدوا قليل إذا عُدوا (١)

فالشاعر قد أضاف هنا إلى كل حال ما يلائمها، بأن أضاف إلى الثقل حال ملاقاتهم الأعداء، وإلى الخفة حال دعوتهم إلى الحرب، وإلى الكثرة حال شدهم وهجومهم على الأعداء في الحرب، وإلى القلة حال عدِّهم وإحصائهم؛ لأنهم إذا غلبوا أعداءهم في قلة عددهم، كان هذا أفخر لهم من الكثرة.

ومنه قول زهير:

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا طعنوا ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

فزهير قد أتى في هذا البيت بجميع ما استعمله الممدوح مع أعدائه في وقت الهياج والحرب، مضيفًا إلى كل حال ما يلائمها، وذلك بأن أضاف إلى طعن الممدوح لأعدائه حالة ارتمائهم، وإلى ضربه إياهم حالة طعنهم، وإلى اعتناقه حالة مضاربتهم. فهو في كل حال يتقدم خطوة على أقرانه.

---

(١) القنا: الرماح؛ كنى بها الشاعر عن نفسه؛ والمشايخ عن أصحابه، لا يفارقهم اللثام ولا ترى لحاهم فكأنهم مرد. واللثام في الحرب عادة العرب لئلا تسقط عمائمهم.

ومنه قول طريح الثقفي:

إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا شرًا أذاعوا، وإن لم يسمعوا كذبوا

فهنا أضاف الشاعر إلى سماع الخير حالة إخفائه، وإلى سماع الشر حالة إذاعته، وإلى عدم سماعهم خيرًا أو شرًا حالة الكذب.

والأمر الثالث الذي قد يطلق التقسيم عليه يتمثل في التقطيع، ويقصد به تقطيع ألفاظ البيت الواحد من الشعر إلى أقسام تمثل تفيعلاته العروضية، أو إلى مقاطع متساوية في الوزن. ويسمى التقسيم حينئذٍ «**التقسيم بالتقطيع**».

ومن أمثلة ذلك وهو من بحر الطويل قول المتنبي:

فيا شوق ما أبقي ويالي من النوى ويا دمع ما أجرى ويا قلب ما أصبا

فقد جاء المتنبي بهذا البيت مقسمًا على تقطيع الوزن، كل لفظتين ربع بيت. ومنه وهو من بحر البسيط قول المتنبي أيضًا:

للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

فقد جاء البيت مقسمًا مقطعًا إلى أربعة مقاطع متساوية في الوزن.

ومنه وهو من بحر الخفيف قول البحتري:

قف مشوقًا أو مسعدًا أو حزينًا أو معينًا أو عاذرًا أو عدولا

فالبيت هنا مقسم مقطَّع إلى ستة مقاطع كل واحد منها يمثل تفعيلة من تفعيلات بحر الخفيف.

وقد يجيء التقسيم بالتقطيع مسجوعًا، كقول مسلم بن الوليد:

كأنه قمر أو ضيغم هصر أو حية ذكر عارض هطل

وكقول أبي تمام من قصيدة يمدح فيها المعتصم ويذكر فتح عمورية:

لم يعلم الكفر كم من أعصر كمنت له المنيةُ بين السُّمر والقضب (١)

تدبير معتصم بالله منتقم. لله مرتقب في الله مرتغب

فالبيت الثاني هنا فيه تقسيم بالتقطيع المسجوع. وقد أطلق قدامة على هذا النوع اسم

---

(١) السمر: الرماح؛ والقضب: السيوف؛ وعمورية إحدى مدن الروم الشهيرة وكانت عندهم أشرف من القسطنطينية؛ وقد فتحها المعتصم في معركة شهيرة.

«الترصيع»، وأطنب كثيرًا في وصفه.

والقدماء لم يكثروا من هذا النوع كراهة التكلف، ومما ورد عندهم منه قول أبي المثلم في الرثاء:

هباط أودية حمال ألوية شهاد أندية سرحان فتيان
يعطيك ما لا تكاد النفس تسلمه من التلاد وَهُوبٍ غير منان [1]

فالتقسيم بالتقطيع المسجوع هو هنا في البيت الأول كما ترى.

ومن التقسيم نوع يقال له: «تقسيم الضد» ويكون بجعل كل شيء مع ضده، كقول العباس بن الأحنف:

وصالكمو صرم، وحبكمو قلى وعطفكمو صد، وسلمكمو حرب

عيوب التقسيم:

والتقسيم إذا استوعب جميع أقسام المعنى أو جميع أحواله فهو التقسيم الصحيح الذي يعد من فنون البديع المعنوي، ولكن التقسيم قد يعتريه بعض أمور تفسده وتنقص من قيمته، ومن ذلك:

١ - عدم استيفاء كل أقسام المعنى، كقول جرير:

صارت حنيفة أثلاثًا فثلثهم من العبيد وثلث من موالينا

فهو بعد أن ذكر أنهم ثلاثة ذكر قسمين وسكت عن الثالث، فالقسمة هنا رديئة: قيل: إن جريرًا أنشد هذا البيت ورجل من حنيفة حاضر، فقيل له: من أي قسم أنت؟ فقال: من الثلث الملغى ذكره!.

ومن هذا النوع أيضًا قول ابن القربة: «الناس ثلاثة: عاقل، وأحمق، وفاجر» فإن القسمة هنا رديئة لعدم استيفاء أقسامها؛ لأن الفاجر يجوز أن يكون أحمق، ويجوز أن يكون عاقلاً، والعاقل يجوز أن يكون فاجرًا، كذلك الأحمق.

٢ - دخول أحد القسمين في الآخر، كقول أمية بن أبي الصلت:

لله نعمتنا تبارك ربنا ربّ الأنام ورب من يتأبّد

---

(١) السرحان بالكسر: الذئب والأسد، والتلاد والتالد والتليد: كل مال قديم وخلافه الطارف والطريف.

فالقسمة هنا فاسدة لأن «من يتأبد ويتوحش» داخل في «الأنام» وكقول الآخر:

فما برحت تومي إليك بطرفها وتومض أحيانًا إذا طرفها غفل

فالقسمان في البيت متداخلان لأن «تومي وتومض» واحد.

وكقول جميل:

لو كان في قلبي كقدر قلامة حبًا وصلتك أو أتتك رسائلي

فالبيت يوهم بالتقسيم، ولكنه ليس كذلك لأن إتيان الرسائل داخل في الوصل.

الالتفات

لعل الأصمعي «٢١٤هـ» أول من ذكر «الالتفات»، فقد حكى عن إسحاق الموصلي أنه قال: قال لي الأصمعي: أتعرف التفات جرير؟ قلت: وما هو؟ فأنشدني قوله:

أتنسى إذ تود عنا سليمى بعود بشامة؟ سقي البشام

أما تراه مقبلاً على شعره، إذ التفت إلى البشام فذكره فدعا له [(١)]

وقد عدّ ابن المعتز «الالتفات» من محاسن الكلام وبديعه، فعرفه ومثل له بعدة أمثلة من القرآن الكريم والشعر. ففي تعريفه له يقول: «**الالتفات هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك. ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر**» [(٢)] ثم مَثَّل لانصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، أو بعبارة أخرى لانصرافه عن الخطاب إلى الغيبة بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

فالالتفات في الآية الكريمة هو في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢]، وعن هذا الالتفات يقول ابن الأثير: «**فإنه إنما صرف الكلام ههنا من الخطاب إلى الغيبة لفائدة، وهي أنه ذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها المخبر لهم ويستدعيَ منهم الإنكار عليهم، ولو أنه قال: إذا كنتم في الفلك وجرين بكم بريح طيبة وفرحتم بها،**

---

(١) انظر كتاب العمدة ج٢ ص ٤٤؛ وكتاب الصناعتين ص ٣٩٢، والبشام: شجر ذو ساق وأفنان وورق ولا ثمر له.

(٢) كتاب البديع ص ٥٨.